

الزمن في شعر النابغة الذبياني (دراسة تحليلية)

المدرس المساعد

أوراس نصيف جاسم محمد

جامعة النهرين - كلية الهندسة

الزمن في شعر النابغة الذبياني (دراسة تحليلية)

المدرس المساعد

أوراس نصيف جاسم محمد

جامعة النهريين - كلية الهندسة

المقدمة :

حينما نتحدث عن الشعر الجاهلي أو نتناوله بالبحث والدراسة فإننا نتناول أقدم التراث الذي وصل إلينا من الشعر العربي وأجوده، فالشعر الجاهلي كان وما يزال لأصالته مثلاً يحتذى وقبلة تتجه نحوه أفئدة النقاد والشعراء والدارسين المهتمين به للكشف عن عناصر الأصالة ومواطن الابداع فيه من دون أن يغفلوا إسهامات الشعراء في ذلك.

والزمن، قضية تحمل قدراً كبيراً من الأهمية؛ وذلك لما لها من مساس مباشر بحياة الإنسان وهذا ما جعلها مداراً للبحث والجدل ولفترات طويلة. وهذا البحث يقع ضمن عدد كبير من البحوث التي عنيت بدراسة الزمن بمعانيه ودلالاته عند الأدباء والشعراء. على الرغم من أن الزمن واحد إلا أن النظرة إليه اختلفت من أديب إلى آخر ومن شاعر إلى آخر، ومنهم الشاعر الجاهلي السفير (النابغة الذبياني)، إذ إنه الميدان الفني الذي اختير للبحث عن مفردات الزمن وصوره وأبرز تجلياته وآثاره على لغة الشعر الخاصة بالنابغة، وذلك لما للزمن من أثر بالغ في وعي الشاعر تجلى بصور مختلفة مباشرة وغير مباشرة.

لذا درست الباحثة الزمن وصوره في شعر النابغة الذبياني ضمن محاور سبقتها توطئة تناولت الشعر وعلاقته بالزمن، ثم نبذة تعريفية بالشاعر..

أما المحاور فقد تناول الأول منها: الزمن من خلال الوقفة الطللية، والمحور الثاني كان في: الزمن من خلال الممدوح، والمحور الثالث تناول الزمن الأسطوري، والمحور الرابع درس الزمن من خلال لوحة الصيد، التي أفضت بدورها إلى محور خامس هو: الزمن من خلال ثنائية الحياة والموت. وقد تجلّى الزمن أيضاً في محور سادس هو: ليل الهموم وصوره في شعر النابغة الذبياني، وختمت الباحثة رحلتها في الزمن في محور سابع هو: الزمن من خلال اللغة، ثم خاتمة بأهم نتائج البحث.. وأخيراً لاتنسى الباحثة فضل من أسدى لها النصح ورفدها بالمصادر المهمة لتذليل العقبات الكؤود التي واجهت سير البحث، ومن الله التوفيق والسداد.

الشعر والزمن

ينقسم الزمن في العرف الفلسفي على زمن موضوعي فيزيائي، وهو الذي تسير على وفقه نواميس الكون جميعها، وزمن ذاتي، ويصطلح عليه بالزمنية وتعني- في بعدها الجامع- الزمن منظوراً إليه من خلال علاقة انتساب، فزمنية الوعي هي الزمن متشكلاً على وفق منظومة الوعي، وهو مصطلح لقي أشد رواجه مع المذهب الظواهري^(١)، فعند أصحابه، تعرف الزمنية بكونها البناء الذاتي للزمن في مقابل بنائه الموضوعي. وقد طورت الفلسفة الحديثة نظرتها من مجرد اعتبار الزمن ظاهرة معيشة ومحسوساً بها وموعياً بها، إلى اعتبار الوعي ذاته هو الزمن، لتكون الزمنية رديفاً لحقيقة الوجود الذاتي لدى الانسان.

فقد أبرز "برفسون" للوجود مفهوم الزمن المحايت انطلاقاً من خصوصية الزمن المعيش، واعتبره جوهر الوعي ذاته، قياساً إلى الفضاء المكاني والزمن المنزل في المكان^(٢). وقد قدم "كانت" الزمن (كشكل وحيد للتجربة الإنسانية

وشرط الظواهر كلها وكحدس صرف، بل إن الحدس الزمني عنده يختزل الأحداث الباطنية كلها، ويتشكل هذا الحدس الزمني قبل الأشياء كلها، إذ هو المعنى الأول^(٣).

وإزاء هذا الزمن الناشئ ضمن الذاتية وبها، تنشأ الزمنية المحايثة الصادرة عن التلقائية المؤلفة التي هي جوهر الوعي والوجود، والمقصود بهذه التلقائية المؤلفة اكتساب آلية التعديل الذاتي التي تجعل الانسان- دون أن يفكر- في ذلك مدركاً للأبعاد الزمنية من حوله.. فبين الشعر والزمن تساوق وقرابة، من جهة كون كل منهما تجسيدا للوعي بالمنزلة شكلاً وكنهاً وجوهراً ووظيفة.

فالكون لم يعد قابلاً للإحتساب الزمني، إنما هو مجرد حيز زمني ومكاني يقبله الشاعر تقليبات مختلفة لغاية تأسيس نظام قيمي وأخلاقي بديل.

ويشير التعبير عن الشعور بالزمن إلى التجربة الداخلية، أي يشير إلى الطريقة التي يدرك بها الفرد حسياً وشعورياً جريان الوقت في كينونته^(٤)، كما أن الزمن ليس غرضاً شعرياً واضحاً متميزاً كالغزل أو الرثاء وغيره، بل هو ظل يلون جميع الأغراض الشعرية وهو يشاركها خصائصها.

وقد لوحظ أنه من الصعب الاكتفاء بمفردتي ((الزمان والدهر)) فحسب لمعرفة مواقف الشعراء من الزمن وهو اجسهم الزمنية، لأن (الزمن مقترن بالكون والوجود والأحداث، وهو إلى هذا موجود في مفردات وصور عديدة.. فعلاقة الإنسان بالزمن لا تقف عند حدود المصطلحات)^(٥)، وإذا كانت صلة الشاعر بالزمن لا تتحدد من خلال مفردتي الزمن والدهر فقط، إنما ثمة أجواء القصيدة ومفردات الزمن والكون من سماء وأرض وأنواء، وكما أضفى الشاعر عواطفه على الزمن، فهو يضفي العواطف ذاتها على الكون، فكأن للأرض والسماء قلبين، فهما تحزانان مع الشاعر، ولا يجنى من

الزمن في شعر النابغة الذبياني..... (٣٩٤)

حصر نظرة البحث بين ألفاظ الزمن والدهر والوقت إلا ضياع إمكانات رؤية الزمن عند الشاعر الجاهلي من جهات متعددة.

النابغة الذبياني (ت ٦٠٤م):

اسمه: هو زياد بن معاوية بن ضباب، من ذبيان، كنيته أبو أمامة عند بعضهم، وعند آخرين أبو ثمامة، ويرى فريق ثالث أنها أبو عقرب. أما لقبه النابغة فقد ذهب الرواة في تعليقه مذاهب شتى، لعل أرجحها في ميزان النقد نسبة ذلك إلى كثرة الشعر وغزارته.

سفارته عند الملوك، وشعره:

عاش النابغة، من الحجاز في الطبقة الوسطى من قومه، متفرغاً لسياستهم، ومنصرفاً لروابطهم مع الملوك والحكام. ولم يطل به الأمر حتى سعى إلى بلاط اللخمين، فاتصل بملوكهم المنذر الثالث في أخريات حكمه، وعمرو بن هند وقابوس، والمنذر الرابع. ولم تمنعه حرب عبس وذبيان من نصرة قبيلته، إذ كان موفور الكرامة ذا رأي محترم، واتصل في الحيرة بملوك الغسانيين، وجمعتهم الصداقة بهم وتوطدت، فنعم بها بنو ذبيان ورغدوا، واتيح للنابغة حق الشفاعة بهم لدى الغساسنة والمناذرة متى أسأؤوا. ثم حدث ما أثار ثائرة النعمان الثالث عليه، ففر الشاعر إلى حاضرة الغساسنة ليملك رداً مادحاً عمراً الرابع والنعمان السادس من أسيادهم. ورجع من بعدها إلى الحيرة، وقد تقدمته اعتذارياته الطنانة. فكانت البراءة، وأعلن العفو والتبرير. وقد قرن النابغة بهذا المقام السياسي، وتلك الخطوة لدى أرباب البلاط والعرش، في مديحه وراثته، منزلة أدبية راقية. فهو عند ابن سلام من شعراء الطبقة الأولى من الجاهليين، إذ كانت ترفع له قبة في سوق

عكاظ من جلدٍ أحمر، فتأتية الشعراء بجيد ما لديهم من شعر للموازنة بينهم والمفاضلة، ومنهم حسان والخنساء والأعشى^(٦).
لقد كان حكيماً بأمر مجتمعه، مخنكاً بصيراً بأساليب الشعر، مرهف الذوق، فامتاز شعره بالمتانة والسلاسة وحسن السبك^(٧).
والنابغة الذبياني هو الواحة التي آثرت الباحثة استقاء ألفاظ الزمن وتجلياته وأبرز صورته منها على وفق المحاور الآتية:

الأول: الزمن من خلال الوقفة الطليعية

لا تبدأ القصيدة الجاهلية أنفاسها، ولا يخاطب الشاعر نفسه والمجتمع الذي ينتمي إليه- في الأغلب الأعم- إلا عن طريق ابتعاث الماضي، فالماضي (يأخذ صفة الإلحاح المستمر على عقل الشاعر. كل شاعر يذكر الدمن والأطلال والرسوم وهي بقايا الماضي، والعلامات الأولى في الطريق. لا بدء إلا من الماضي، ولا خطاب في مشغلة من المشاغل إلا قام- أولاً- على وظيفة التذكر، ويصبح التذكر وظيفة مهمة لا يستطيع أن يفرط فيها الإنسان. لا شعر لمن لا ذاكرة له، ولا يستسيغ المجتمع معنى الشعر والمعرفة إلا مقروناً بالتذكر. والتذكر- بهذه الوسيلة- يصبح شعيرة من الشعائر^(٨). والأطلال عند النابغة هي ناقوس الذكرى الذي يخترق بصداه البرهة الزمنية الآتية إلى الماضي الجميل، وعندها يتلاقى الزمان بالمكان فهو القائل:

تذكرني أطلال هند مع الهوى دعائم منها قوائم ومنزع
على العصر الخالي، كأن رسومها بتنهاية الركنين وشي مرجع^(٩)
فالنابغة كغيره من الشعراء والناس يخشى الزمن، يخشاه حين يبتهج بشبابه وأمجاده لأنه يجري سريعاً فلا يدعه ناعماً بحياته، ويخشاه حين تشقيه الشيخوخة أو نوائب الدهر، فزمنه يمنحه قلقاً غامضاً يستوجب تحديد موقف منه، وهذا

ما توحى به أطلال النابغة، لذا (نجد معاناة الشاعر شديدة نظراً لامتلاكه إحساساً فائقاً يجعله باحثاً دؤوباً عن الأجوبة الصعبة للأسئلة المعلقة، وآية ذلك القلق المحفز لإحساسه بالزمن)^(١٠) فيقول بعد مرور سبع سنين كاملة:
دعاك الهوى، واستجهلتك المنازلُ وكيف تصابي المرء والشيبُ شاملُ
وقفتُ بربع الدارِ قد غيرَ البلى معارفها والسارياتُ الهواطلُ
أسائلُ عن سعدى وقد مرَّ بعدنا على عرصاتِ الدارِ سبعُ كواملُ^(١١)
وما (سعدى) التي يسأل عن مكان نزوحها إلا سعادته وسعدته (ماضيه السعيد) اللذان رحلا عنه إلى غير أوبة وتلاقٍ.

والدهر عدوٌ لدود لزمه الأليف المتمثل بمنازل الحبيبة الراحلة، فهو في سجال دائم مع آثارها ورسومها، إذ يقول:

غشيتُ منازلًا بعريتاتٍ فأعلى الجزع للحي المبن
تعاورهنَّ صرفُ الدهر حتى عفون، وكل منهنم مرن^(١٢)
الثاني: الزمن من خلال الممدوح

لا ينفك الشاعر يسبح رموزاً زمنية عديدة على ممدوحه، ومن تجليات هذه الرموز الزمنية (الحياة والموت)، وما يتشعب عنهما من مظاهر تعبر عنهما نحو: مواسم الخصب والربيع والعتاء، ويقابلها الموت الزؤام والسّم الزعاف، فيقول:

تحينُ بكفيه المنايا، وتارة تسحان سحاً من عطاءٍ ونائل^(١٣)
ومن خلال هذا التقابل الانفعالي أو المفارقة بين صورتَي الموت أو الإهلاك، وصورة الكرم والسماحة، يحدث تبلور (في بنية ثنائية الشريحة تتألف

من حركة وحركة مضادة لها، وتجسد هذه البنية رؤيا جوهرية للوجود الإنساني في مواجهة الزمن والموت^(١٤).

ومن رموز الزمن التي عمد إليها النابغة الذبياني في رسم صورة الممدوح الرموز الدينية/ التاريخية؛ لإضفاء صفة القدسية على مليكه، إذ إن تقديس الملوك معروف في تاريخ الإنسانية فضلاً عن عبادتهم. ورمز الزمن الديني هنا هو نبي الله سليمان (عليه السلام) الذي ساس مملكته بالعدل والحكمة بين الإنس والجن والبهائم. وهذا في قوله:

فتلك تبليغي النعمان، أن له
ولا أرى فاعلاً في الناس يشبهه
إلا سليمان إذ قال الإله له
وخيس الجن، إنني قد أذنت لهم
فمن أطاعك فأنفعه بطاعته
ومن عصاك فعاقبه معاقبة
فضلاً على الناس في الأدنى وفي
ولا أحاشي من الأقسام من أحد
قم في البرية فاحددها عن الفند
ينون تدمر بالصفاح والعمد
كما أطاعك، وادلله على الرشد
تنهى الظلوم ولا تقعد على

فقد أضفى الشاعر صفة القدسية على الممدوح، والقدسية من صفات الزمن، فالشاعر يوظف أدبيته في (إنتاج معرفة إبداعية تفكك الأشياء ثم تعيد تشكيلها وتستحضر التراث، لا لتستوحي منه فقط، بل لتؤوله، وتخلق من أصواته المتعددة فاعلية ديناميكية تسهم حقاً في بلوغ أقصى درجات الرؤية الشعرية)^(١٦).

الثالث: الزمن الأسطوري

وهو الزمن الذي (ينحي عن الأشياء صفتها التاريخية ليجعل منها موجودات طبيعية لا تاريخ وراءها فيتخلص ما فيها من بعد إنساني ويموت

مفهومها السياسي^(١٧) مع ما فيه من تداخل مع (الرمز الأسطوري) إلا أن الأخير قد يتضمن في بعض الأحيان عنصر اللازمية.

والأسطورة عند النابغة أيقونة تحقب المضامين الفكرية والنفسية التي يروم إيصالها إلى متلقيه، ومن هذه الأساطير قصة الأفعى (ذات الصفا) والصائد، فيقرن الشاعر الموجدة التي زرعها فيه بنو مرة لاستثارتهم وتحالفهم عليه وعلى قومه، رغم طلبه حوائجهم عند الملوك، يقرنها بالموجدة الشديدة التي زرعها الصائد في نفس الأفعى حين تبين غدره بها، وهذا في قوله:

وإني لألقى من ذوي الضغن منهم وما أصبحت تشكو من الوجد
كما لقيت ذات الصفا من حليفها وما انفكت الأمثال في الناس
ومنها أسطورة زرقاء اليمامة التي استخدمها رمزاً لبعد النظر ولفاء البصيرة والصواب في الحكم، ليسقط هذه الصورة على ممدوحه الذي أساء الظن به وصدق فيه الواشين، فيقول معاتباً النعمان:

أحكم كحكم فتاة الحي إذ نظرت إلى حمام شرع واردة الشمد
يحفه جانباً نيق وتتبعه مثل الزجاجة لم تكحل من الرمذ
قالت: ألا ليما هذا الحمام لنا إلى حمامتنا ونصفه فقد
فحسبوه فألفوه كما حسبت تسعاً وتسعين لم تنقص ولم تزد
فكملت مائة فيها حمامتها وأسرعت حسبة في ذلك العدد^(١٩)

وعليه، فإن الزمن الأسطوري ليس شيئاً سكونياً، إنما حركته ناتجة عن طبيعته الاحتضانية، وهو الفضاء الذي يحتضن زمن الأنا الغنائي وينفعل جديلاً في هذا الأنا، حينئذ يكون الزمن الأسطوري مفتوحاً على قراءة تأويلية جديدة للعالم ومصدراً للرؤية التي خلقتها التجربة الشعرية^(٢٠).

الرابع: الزمن من خلال لوحة الصيد

ليست لوحة الصيد في البناء الفني للقصيد الجاهلية إلا صورة من الصور التي تعكس موقف الإنسان من الدهر أو عقد مقارنة ذهنية بين لوحة الصيد ولوحة الحياة، وهو موقف صراعي يكون القدح المعلى فيه- في أغلب الأحيان- للصائد وكلابه دون الحيوان البري، على نحو ما يشير إليه الجاحظ^(٢١). فالصائد وكلابه يقفون في النقطة الفاصلة بين الحيوان والماء الذي يرمز للحياة، ولعل إكثار الشعراء من تجسيد هذا الانتصار للصائد وضواريه ما هو إلا إشارة إلى سطوة الزمن وقبضته المحكمة على الأحياء والبشر جميعاً دون استثناء، ففي هذه اللوحة (يشكل الزمان عند الشاعر الجاهلي همماً أساسياً، فهو المدى الذي يتحرك في آناته، ويحقق فيه أحلامه وأمجاده، أو يفقد فيه الاثنين معاً، فكان عراقاً خفياً أزلياً يدور بين الاثنين، الزمان والشاعر وتكون الغلبة فيه دائماً للطرف الأول)^(٢٢).

ويتجلى الدهر لدى النابغة بوصفه زمناً معادياً في هيئة (الصائد)، أما الثور الوحشي فهو المعادل الموضوعي للشاعر/ الإنسان، وما كلاب الصائد الضارية إلا مصائب الزمن المعادي ونوائبه مسلطة على الإنسان، وما انتصار الثور الوحشي على كلاب الصائد لدى النابغة إلا محاولة تفصح عن رغبة دفينية في اللاوعي الجمعي وهي الانفلات من حركة الزمن ودوران عجلاته في سعي البشر نحو الخلود، كما إن ارتباط لوحة الصيد لديه بلبلة الشتاء الماطرة سمة بارزة في هذا الضرب من اللوحات الشعرية^(٢٣)، وتتجلى أهمية النابغة هنا في سرده لتتابع أحداث قصة الزمن الطردية بأسلوب يكتنفه الحوار والانفعالات المتصارعة بين الهروب والمواجهة. فهو القائل:

كأن رحلي وقد زال النهار بنا
 من وحش وجرة موشي أكارعه
 أسرت عليه من الجوزاء سارية
 فارتاع من صوت كلاب فبات له
 فبثهن عليه واستمر به
 وكان ضمران منه حيث يوزعه
 شك الفريصة بالمدرى فأنفذاها
 كأنه خارجاً من جنب صفحته
 فظل يعجم أعلى الروق منقبضاً
 لما رأى واشق إقعاص صاحبه
 قالت له النفس: إني لا أرى طمعا
 يوم الجليل على مستأنس وحد
 طاوي المصير كسيف الصيقل الفرد
 تزجي الشمال عليه جامد البرد
 طوع الشوامت من خوف ومن صرد
 صمغ الكعوب بريئات من الحرد
 طعن المearك عند المحجر النجد
 طعن المبيطر إذ يشفي من العضد
 سفود شرب نسوه عند مفتاد
 في حالك اللون صدق غير ذي أود
 ولا سبيل إلى عقل ولا قود
 وإن مولاك لم يسلم ولم يصد^(٢٤)

كما إن الزمن هنا يرى من أفعال وألفاظ بعينها تختلف في تساوقها الزمني ودلالاتها لترسم إحتدام الصراع الذي ضيق بخناقه على الشاعر/ ثور الوحش، نحو (زال النهار، يوم الجليل، أسرت الجوزاء سارية، تزجي الشمال جامد البرد، بات طوع الشوامت).
 والأفعال التي رسمت دواهي الدهر وأفعاله هي (شك الفريصة، فأنفذاها، فظل يعجم أعلى الروق).

الخامس: الزمن من خلال ثنائية الحياة والموت

تعد ثنائية الحياة والموت من أهم رموز الزمن التي تعاهدها الشعراء في شعرهم، عكسوا من خلالها هاجس الخلود الذي طالما شغل العقل البشري. فلما كانت الزمنية مميزة للكائن الإنساني من جهة أنه يدرك أن مآله للزوال، فإنها تتجلى بطرائق عدة ومكثفة في كل أشكال إبداعه الفني، فمنذ إفلاطون

كان مفهوم الزوال الذي يتهدد الشاعر وأثره الفني باعتبارهما مرتبطين بعالم مادي يسير نحو التلاشي ضرورة، أي إن الشاعر يعيش بأثره الأنطولوجي (Ontology) أو الوجودي، وهذا ما دعا النابغة إلى الكشف عن هذه الحقيقة المؤلمة، فيقول:

ونحنُ نرجي الخلدَ إن فازَ قدحنا ونرهبُ قدحَ الموتِ إن جاءَ قامراً^(٢٥)

وهو في موضع آخر- يرثي فيه أخاه- يمثل لديه الفراق بالموت في بعده (الزماني والمكاني) أشد أسباب التوجع والحسرة، بل إن الحياة الهائلة بعده لن تكون

لا يهنيُّ الناسَ ما يرعونَ من كلاً وما يسوقون من أهلٍ ومن مالٍ
بعد ابن عاتكة الثاوي لدى أبوي أمسى ببلدة لا عم ولا خالٍ
سهل الخليقة مشاء بأقدحه إلى أولات الذرى حمالٍ أئقالٍ
حسب الخليلين نأي الأرض بينهما هذا عليها وهذا تحتها بال^(٢٦)

بعد فجيعة بأخيه ذي السماحة والكرم، حيث أمسى وحيداً غريباً تواريه الأحجار والتراب بعيداً عن خليله. وهذا في قوله:

ويقرر الشاعر في موضع آخر أن الخلود مستحيل بعد أن نالت المنية من أبي قابوس، وهو الذي كان يدير صروف الزمن على الناس بخيره وشره، بعد أن كان غيائاً للمحتاجين واليتامى ودرعاً حصيناً لهم من الأعداء، وبعده آل هذا الحكم وهذه المنعة إلى الزوال، فيقرر النابغة:

إن امرأ يرجو الخلود وقد رأى سريراً أبي قابوس يغدى به عحزٌ
وكنت ربيعاً لليتامى وعصمةً فملكُ أبي قابوس أضحى وقد نجز^(٢٧)

وقد يستشرف الشاعر للموت ويرسم صوراً مأساوية للمستقبل المظلم الذي سيحط رحله مع موت النعمان، وأداته في استشراف المستقبل هي (إن)

الشرطية، فبعده زمن معاد تمسك الأرض والسماء فيه عن خيرهما، وتضيع فيه حرمة الشهر الحرام فتغزو القبائل بعضها بعضاً بسبب القحط وغياب السلطة، ويجسم الشاعر هذا الزمن المعادي ببعير مهزول ذاب سنامه، ولا يرتجى خيره، فيقول:

ألم أقسم عليك لتُخبرني أحمول على النعش الهمام
فإن يهلك أبوقابوس يهلك ربيع الناس والشهر الحرام
ونمسك بعده بذناب عيش أجب الظهر ليس له سنام^(٢٨)

ومن استشرافاته الأخرى لموت النعمان، أن عطايه وإغاثته للملهوفين ستوقف ولن تلقى بعده المطايا حاملة لرفده العميم، وستندبه حتى النساء المحصنات، ولاسيما في الساعة الأخيرة من الليل وهو وقت الغارات لأنه كان حاميهن من ذل الأسرما عجز عنه حتى بعولتهن عن رده عنهن، فيقول:

وإن يهلك النعمان تعر مطيه ويلق إلى جنب الفناء قطوعها
وتنحط حصان آخر الليل نحلة تقضقض منها أو تكاد ضلوعها
على إثر خير الناس إن كان هالكاً وإن كان في جنب الفراش ضجيعها^(٢٩)

السادس: ليل الهموم وصوره في شعر النابغة الذبياني

حينما تهجع العيون وينقطع المرء عن مشاغله ويخلو بنفسه تراوده همومه والذكرى المحزنة تترى، فيجفوه الكرى ويقض مضجعه، (وطول الليل أو قصره يقدم لنا وصفاً ضمناً لحالة الشاعر النفسية، فالشاعر الخالي من الهموم يظن الليل قصيراً والحزين يظنه طويلاً)^(٣٠)، فيتحول الليل إلى زمن ثقيل معاد. ولليل الهموم تجليات عدة في شعر النابغة عكست همه الذي لازمه طوال مدة تنقله بين بلاطي المناذرة والغساسنة... فالليل عنده بطيء الكواكب، قد عاد

عليه بشتى الهموم والمخاوف بعد أن كان قد نسيها في نهاره، فصار ليله الثقيل كراعي ضأن رجع من مرعاه مساءً بأغنامه، فتجمعت وتكاثرت بعد تفرق كهموم الشاعر، لتتوقف عنده عجلة زمنه وأبى الصبح أن ينبلج مجدداً، إذ يقول:

كليني لهم يا أميمة ناصب وليل أفاسيه بطيء الكواكب
تطاول حتى قلت ليس بمنقض وليس الذي يرعى النجوم بأيب
وصدر أراح الليل عازب هممه تضاعف فيه الحزن من كل جانب^(٣١)

وقد يحيل الليل قلق الشاعر وثقل همومه المؤرقة إلى فراش من شوك تجده على الشاعر طارقات الهموم وهو واجسه الحافلة بالأفكار المظلمة، فهو القائل مخاطباً النعمان في إحدى اعتذارياته:

أثاني - أبيت اللعن - أنك لمتني وتلك التي أهتم منها وأنصب
فبت كأن العائدات فرشني هراساً به يعلى فراشي ويقشِب^(٣٢)
ثم يعلن الشاعر عن برمه بهذه الطوارق بصوت واضح، حيث يقول:
كأن الهم ليس يريد غيري ولو أمسى بها شتى هدون^(٣٣)

فالهم والليل عند النابغة صنوان لا يفترقان.

والليل أيضاً يمثل أحد رموز القحط والجوع، وخصوصاً إذا تآزر مع الأنواء التي تشح معها الحياة، فيلوح شبح الموت ببرائته على المحتاجين، ويبعث في نفوسهم الوحشة والخوف، وهذا في قوله مفتخراً:

هلا سألت بني ذبيان: ما حسبي؟ إذا الدخان تغشى الأشمط البرما
وهبت الريح من تلقاء ذي أرل تزجي مع الليل من صرادها صرماً
صهب الظلال أتين التين عن عرض يزجين غيماً قليلاً ماؤه شبماً

يُنْبِتُكَ ذُو عَرَضِهِمْ عَنِّي وَعَالِمُهُمْ وليس جاهلُ شيءٍ مثلَ مَنْ عَلِمَا^(٣٤)
فالنابغة يعنى في تصوير أوان الصرّ والقرّ وشدتهما على الناس هنا: فالكهول
البخلاء لا يفارقون النار- رغم خوفهم من نزول الأضياف عليهم- لشدة أذى
البرد، وريح الشمال تقابل الجبال وتعترضها وتسوق السحب الشاحبة القليلة
المطر، ليقف الشاعر بعدها ضد هذا الزمن القاسي سارداً صور الكرم
والشجاعة، ثم ركوبه الناقاة التي يهرب بها الشعراء من سيرورة الزمن
الصارمة للبحث عن ذواتهم المفقودة بين ركام ذكريات الزمن السعيد.

السابع: الزمن من خلال اللغة

ليس لمفردات الزمن عند النابغة كالدهر^(٣٥)، والعيش^(٣٦)،
والحدثان^(٣٧)، وما يتفرع عنه من رموز، منها: الحياة والموت^(٣٨)، والشيب
والشباب^(٣٩)، وغيرها مما لا يسع ذكره للبحث الأثر الوحيد في تجليات الزمن
في لغة الشاعر، بل إن الأفعال المتأرجحة بين الماضي والحاضر، والحروف
الممدودة، والموسيقى الشعرية قد أدت دورها المتميز في تجسيد زمنية النص
الشعري لدى النابغة الذبياني، ومنها قوله:

بانَتْ سَعَادٌ وَأَمْسَى حَبْلُهَا انْجَذَمَا واحتلَّتِ الشَّرْعَ فالأجزاء من إضماً^(٤٠)
فالأفعال هنا مثلاً بصيغة الماضي (بانَتْ، أمسى، انجذما، احتلَّتِ)، قد
عكست حساً ماضوياً لا يهدأ في نفس الشاعر، أما الآهات في الألف الممدودة
التي تتردد مع قوله: (بانَتْ سعاد... أمسى... انجذما... إضماً) فإنها تُعطي
دقفاً شعورياً متزامناً مع عمق مأساة الشاعر بانفلات زمنه السعيد مع (سعاد)،
ولعل اختياره لهذا الاسم لم يكن اعتباطياً أبداً، فضلاً عن (الأجزاء)(٤١)،
وهي الوديان الخصبة التي رحل إليها (سعدُه) كانت قد زرعت- من جهة
أخرى- (الجزع) في نفس الشاعر، أي إن سعاد هي المعادل الموضوعي لزمنه

السعيد وشبابه المدبر، فالزمن في بنائه الذاتي هنا قد عبرت عنه هذه الألفاظ بتساوق وانسجام ينطويان على حزن شفيف، أما موسيقاه الشعرية فهي دائماً في خدمة المعاني، تأتي بما يناسب تأمل الشاعر معتمداً في ذلك فطرةً وذوقاً سليمان.

الغائمة

بعد رحلة في شعر النابغة الذبياني، اقتفت فيها الباحثة آثار الزمن فيه، خلصت منها إلى النتائج الآتية:

١. إن الزمن ليس شيئاً موجوداً لذاته، ولا محايداً للأشياء كما لو كان وجوده ضرورة موضوعية. وليست الأشياء مشروطة في وجودها بالزمن، إنما هو سابق ومستقل عنها.

٢. لم يفصح الشاعر عن الزمن من خلال مفردتي (الزمن والدهر) فحسب، بل رسم آثاره وتجلياته على الموجودات وعلى نفسه، لأنه مقترن بالكون والوجود والحياة والأحداث.. فتجلياته لا تقف عند حدود المصطلحات، فهو إطار يحيط بكل ما ينفعل به الشاعر ويتمثله.

٣. يتخذ النابغة من الزمن في أثناء وقفته الطللية مُنطلقاً لبث رموزه عبر مسميات الأماكن المقترنة بوظيفة التذكر، بل إن أطلاله هي المكان والزمن متحدين في كيان واحد مادي مستقل، تسكنه أرواح البهائم بعد أرواح البشر.

٤. يسبغ النابغة على ممدوحيه صفات الزمن من قدسية وقدرة مطلقة على الإحياء والإهلاك، وهو أمر ماثور عن العقلية الوجودية في جذورها

الأولى، فضلاً عن استدعائه للرموز الأسطورية التي هي بحد ذاتها أيقونات لا زمنية تتمتع بالخلود، الهاجس الذي أرق البشرية منذ طفولة شعوبها وعلى رأسها أبو البشر نبي الله آدم (عليه السلام).

٥. الصائد وكلابه والأنواء الجوية العاصفة هي من رموز الزمن الغاشم الذي هو في سجل دائم مع (الإنسان / الشاعر / ثور الوحش)، وهي لوحة تعكس لدى الشاعر رغبة مكبوتة في اللاوعي الجمعي تمثل الحاجة إلى التمرد والانفلات من دوران عجلة الزمن، وهي نفسها تمثل الصراع بين قطبي الحياة والموت، حيث يجسدان النأي ببعديه الزماني والمكاني في آن واحد.

٦. مثلت إستشرافات النابغة ورسمه صوراً للمستقبل المظلم سمة بارزة لديه، من خلال مراثيه للملوك، أو حين يحذر من حاد برأيه عن جادة الرشد والصواب.

Abstract

When we speak about the Pre- Islamic time Poetry, we discussed the most ancient and better heritage in the Arabic poetry. The Pre- Islamic time Poetry was still represented a sample had taken by critic and poets.

The distinction, history and quality of Pre- Islamic time Poetry motivated the educators and men who are interested in poetry to research in this field and applied in Criticism and analysis. The poets had an important role to achieve this performance, depending on their good skills and poetic art.

The time had an important role in this respect for it related to human feelings, so this performance made it the point of discussion for long periods.

This research deals with the study of time and with its meanings for authors and poets, despite of the time is one but the study of this lime differed from author to another and from poet to another among them the ambassador poet called (Al- Nabegha Al- Thubiany). The poet had played a vital role in this respect to seek the meaning of time and its images.

The researcher studied The time and its images in the Poetry of Al- Nabegha Al- Thubiany in many pivots, starting in the relation between the poetry and the time and then give an introduction about the poet.

The first pivot studies the time in the posture, the second pivot discusses the time in the encomium, the third deals with legendary time, the fourth deals with the time in the hunting panel, the fifth pivot studies the time between the life and the death, the sixth pivot discusses the night of sorrows and its images in the poetry of Al- Nabegha Al- Thubiany and finally, the researcher concludes her study in the time with seventh pivot, this pivot deals with the time in the language and then concludes her research with many results.

هوامش البحث

(١) قدمت فريدة غبوة (الظواهرية) في مقال بعنوان (أسس المنهج الظواهري عند إدموند

هوسرل)، مجلة التواصل، جامعة عنابة- الجزائر، العدد ٤، جوان ١٩٩٩، ص ١٩٧-

الزمن في شعر النابغة الذبياني..... (٤٠٨)

- (٢) ينظر كتابه: (العقل الصريح Laraison Pure) مطابع فرنسا الجامعية، ط٢٢، باريس ١٩٥٣، ص٦٩-٧٠.
- (٣) م. ن: الصفحة نفسها.
- (٤) ينظر: زمن الشاعر، أدونيس، مجلة الآداب، ع٤ السنة ١٥، آذار ١٩٦٧: ٣.
- (٥) الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام، عبد الإله الصائغ، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦، ص ٢٤٤.
- (٦) ينظر: الموشح، مأخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر، المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى (٣٨٤هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، القاهرة ١٩٦٥م، ص٨٢-٨٣.
- (٧) ينظر: معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، ج٤، مكتبة المثنى ودار إحياء التراث العربي- بيروت (د.ت)، ص ١٨٨، و: معجم الشعراء في تاريخ الطبري، د. عزمي سكر، المكتبة العصرية، بيروت ط١، ١٩٩٩، ص ٣٩٨-٣٩٩، و: معجم الشعراء الجاهليين، د. عزيزة فوال بابتي، دار صادر- بيروت، ط١، ١٩٩٨، ص ٣٥٧.
- (٨) قراءة ثانية لشعرنا القديم، د. مصطفى ناصف، دار الأندلس، ط٢، ١٩٨١، ص ٥٥.
- (٩) ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف- مصر، ط٢، ١٩٨٥، ق٤٥: ١٨٢. الدعائم: الأساطين.
- (١٠) الزمان الوجودي، عبد الرحمن بدوي، مطبوعات مكتبة النهضة المصرية، ط٢، ١٩٥٥، ص ١٧٤.
- (١١) ديوانه، ق٢٢: ١١٥. عرصات: كل فجوة ليس فيها بناء.
- (١٢) م. ن، ق٢٣: ١٢٥. الجزع: منعطف الوادي، المبن: المقيم، تعاورهن: تعاقب عليهن، صرف الدهر: تلونه وتقلبه.
- (١٣) م. ن، ق٢٦: ١٤٧، وينظر أيضاً: ق٢: ٣٨، وق ٧٥: ٢٢٣.

الزمن في شعر النابغة الذبياني..... (٤٠٩)

- (١٤) البنى المولدة في الشعر الجاهلي، د. كمال أبو ديب، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، ط١، ١٩٨٨، ص ٧٠.
- (١٥) ديوانه، ق١: ٢٠-٢١، احدها: امنعها، الفند: الخطأ، خيس: ذلل، الصفاح: حجارة، العمد: أساطين الرخام، الضمد: الذل والحقد والغيظ.
- (١٦) الشعر والتأويل، قراءة في شعر أدونيس، عبد العزيز بومسهولي، طبعة أفريقيا الشرق، المغرب، ١٩٩٨، ص ١٧.
- (١٧) مفهوم الزمن ودلالته، عبد الصمد زايد، طبعة الدار العربية للكتاب، (د. م) ١٩٨٨، ص ١٧.
- (١٨) ديوانه، ق٢٨: ١٥٤. الصفا: الحجارة.
- (١٩) م. ن، ق١: ٢٣. حمام: القاصدة الى الماء، الشمد: الماء القليل، نيق: جبل، مثل الزجاجة: عينها صافية كحلاء لغير داء، قد: حسبي.
- (٢٠) ينظر: الشعر والهوية، مصطفى خضر، منشورات دار الذاكرة للتأليف والنشر والتوزيع، سوريا (د. ت)، ص ٥٧.
- (٢١) كتاب الحيوان، الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ج١، المجمع العلمي العربي الإسلامي، ط٣، بيروت- لبنان، ١٩٦٩، ص ٢٤٢.
- (٢٢) الزمن عند الشعراء العرب قبل الاسلام، عبد الإله الصائغ، ص ٢٦٩.
- (٢٣) ينظر: ديوانه، ق٦: ٦٥، ق٢٩: ١٥٨-١٥٩.
- (٢٤) م، ن، ق١: ١٧. الجليل: شجر الثمام، مستأنس: ثور يخاف الأنيس، طاوي المصير: ضامر البطن، تزجي: تسوق، الشوامت: أرجله، الصرد: البرد، الفريضة: جانبه، سفود: حديدة الشواء، يعجم: يمضغ، الروق: القرن، أود: الاعوجاج، القود: الدية.
- (٢٥) م، ن، ق٧: ٦٨. فاز قدحنا: مثل ضربه أنه يرجو الفوز على المنية ويخشى أن تفوز هي على ممدوحه النعمان.
- (٢٦) م، ن، ق٥١: ١٨٨.

الزمن في شعر النابغة الذبياني..... (٤١٠)

(٢٧) م، ن، ق ٥٧: ١٩٤، وينظر أيضاً: ق ٢: ٣٨، ق ٧: ٦٨.

(٢٨) م، ن، ق ١٨: ١٠٥. أجب: مقطوع.

(٢٩) م، ن، ق ١٩: ١٠٧. القطوع: أدوات الرحل، تنحط: تزفر حزناً لفقده، آخر الليل: وقت الإغارة، تقضض: تتكسر.

(٣٠) الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام، عبد الإله الصائغ، ص ٢٧٣.

(٣١) ديوانه، ق ٣: ٤٠-٤١. العازب: الذي يبيت في المرعى بعيداً.

(٣٢) م، ن، ق ٨: ٧٢. أنصب: أعاني وشقائي منها، العائدات: الزائرات في المرض، الهراس: الشوك، يقشب: يتجدد.

(٣٣) م، ن، ق ٧٥: ٢١٨.

(٣٤) م، ن، ق ٦٢-٦٣.

(٣٥) ينظر: م، ن، ق ٧: ٦٧، و ق ٢٧: ١٥١.

(٣٦) ينظر: م، ن، ق ١٨: ١٠٥.

(٣٧) ينظر: م، ن، ق ١٠: ٨١.

(٣٨) ينظر: م، ن، ق ٢: ٣٨.

(٣٩) ينظر: م، ن، ق ٤٤: ١٨١.

(٤٠) م، ن، ق ٦: ٦١.

(٤١) المكان في الفكر الوجودي محدود والزمان لا يُحد.

قائمة المصادر والمراجع

(١) إبراهيم، محمد أبو الفضل: ديوان النابغة الذبياني، دار المعارف، مصر، ط ٢، ١٩٨٥م.

(٢) أدونيس: زمن الشاعر، مجلة الآداب، ع ٣ السنة ١٥، آذار، ١٩٦٧م.

(٣) أبو ديب، كمال: البنى المولدة في الشعر الجاهلي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد،

ط ١، ١٩٨٨م.

الزمن في شعر النابغة الذبياني..... (٤١١)

- (٤) بابتي، د. عزيزة فوال: معجم الشعراء الجاهليين، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.
- (٥) بدوي، عبد الرحمن: الزمان الوجودي، مطبوعات مكتبة النهضة المصرية، ط٢، ١٩٥٥م.
- (٦) بومسهولي، عبد العزيز: الشعر والتأويل (قراءة في شعر أدونيس)، طبعة أفريقيا الشرق، المغرب، ١٩٩٨م.
- (٧) الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: كتاب الحيوان، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ج١، المجمع العلمي العربي الإسلامي، ط٣، بيروت- لبنان، ١٩٦٩م.
- (٨) خضر، مصطفى: الشعر والهوية، منشورات دار الذاكرة للتأليف والنشر والتوزيع، سوريا، (د. ت.).
- (٩) زايد، عبد الصمد: مفهوم الزمن ودلالته، طبعة الدار العربية للكتاب، (د. م)، ١٩٨٨م.
- (١٠) سكر، عزمي: معجم الشعراء في تاريخ الطبري، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٩٩٩م.
- (١١) الصائغ، عبد الإله: الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦م.
- (١٢) غبوة، فريدة: أسس المنهج الظواهري عند إدموند هوسرل، مجلة التواصل، جامعة عنابة، الجزائر، ع٤، جوان، ١٩٩٩م.
- (١٣) كانط: العقل الصريح Laraison Pure، مطابع فرنسا الجامعية، ط١٢، باريس، ١٩٥٣م.
- (١٤) كحالة، عمر رضا: معجم المؤلفين (تراجم مصنفي الكتب العربية)، ج٤، مكتبة المثني- بيروت و: دار إحياء التراث العربي- بيروت، (د. ت.).

الزمن في شعر النابغة الذبياني..... (٤١٢)

(١٥) المرزباني، أبو عبيد الله محمد بن عمران بن موسى (٣٨٤هـ): الموشح، مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر، تحقيق: علي محمد البجاوي، (د. ط)، القاهرة ١٩٦٥م.

(١٦) ناصف، مصطفى: قراءة ثانية لشعرنا القديم، دار الأندلس، ط٢، ١٩٨١م.